ملامح من النتاج الأدبي في زمن الأتابكة
الاستنهاض و الجهاد بالشعر – نموذج ابن القيسراني

د. محمد احمد ربيع
د. وجيه فانوس
كلية الاداب – جامعة جرش الأردن

يسعى هذا البحث إلي استعراض ملامح من النتاج الأدبي في زمن الأتابكة ،متعلقة بموضوع الاستنهاض و الجهاد ؛ متخذا من الشاعر ابن القيسراني نموذجا لهذا الأمر. يبدأ البحث بتمهيد عام يتناول ملامح تاريخية تعرض لأبرز معالم الدولة الأتابكية ، ثم يسعى إلي عرض لمفهومي الجهاد و الاستنهاض أكان ذلك في الإسلام أو في الوعي السياسي لتلك المرحلة ، ليصل بعد هذا كله إلي استعراض لأسس الاستنهاض و الجهاد المتمثلة في شعر ابن القيسراني ، فيعرض لها ثم يعمد إلي مناقشة منهج التعبير الفني فيها ملاحظا ما قد تحفل به من ملامح جمالية وملحمية وحكمية ، و معرجا على ما يمكن أن يكون الشاعر قد قبسه في هذا المجال من شعر أبي تمام و المتنبي لما بين شعره وبعض ما في شعرهما من مجالات تقارب

This paper attempts at exposing certain features of the literary work in the Atabeki period, related to the topics of jihad and national arousing; taking the poetry of Ibn al – Qaysarai as a literary sample. The paper discuses concepts of jihad and national arousing according to the Islamic and political understanding of the period, and tries to find their echoes in the poetic work of Ibn al – Qaysarani. A discussion of the poet`s style of expression is present, where certain artistic aspects of the poet are taken under consideration. Finally, a comparison between the aspects found in the work of Ibn al – Qaysarani and similar ones present in the works of the two abbaside poets: Abu Tammam and al-Mutanabbi take place to explore some of the poetic value of the Atabeki poet.

مُخَطَّطٌ عام

- تمهيد عام
  - دولة الأتابكة
  - وضع الصليبيين في زمن الأتابكة
  - الأدب في الدعوة إلى الاستنهاض والجهاد
  - موقع ابن القيسراني
  - خطة البحث
    - المنهج
    - المنهجيّة
- مفهوم الجهاد في الإسلام
  - التكليف الشرعي
  - الممارسة النبوية
  - الممارسة العامّة
  - مساءلة المرحلة الأتابكيّة
- الجهاد والحرب
- الجهاد عند أهل الفكر والبيان
- الحروب الصليبية
- بلاد الشام في المرحلة الأتابكية
- الجهاد والحرب في المرحلة الأتابكية
- أسس الاستنهاض والدعوة عند ابن القيسراني
  - نصرة الإسلام
    - دينا
    - أناسا
    - أرضا
  - وسيلة النّصر
    - ملك مسلم
    - قوي
    - موثوق
    - قائد
    - صاحب تقوى
    - جند
    - قوي

- متضامن مع ملكه
- خطة حربية ناجحة
- عدم الرّأفة بالعدو
- عدم الثقة بالعدو
- إعلام قوي
- تمجيد القوة
- التهويل النّفسي

○ منهج التّعبير الفني

- الصورة الجمالية
- البعد الملحمي
- التشكّل العام
- النّسق الحكمي

○ تماثل مع

- أبي تمّام
- المتنبي

• خلاصة عامّة

بسم الله الرحمن الرحيم

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة.

ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً.

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان

الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها،

واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً،

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله،

والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت،

فقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفا [1]

صدق الله العظيم

---

[1] – سورة النساء: ٧٤ – ٧٦

تمهيد عام

ظهرت الدولة الأتابكيّة سنة ٥١٦ للهجرة، مع تولي عماد الدين زنكي[٢] السلطة في بلاد الموصل ودمشق وحلب؛ واستمرّت إلى سنة ٥٧٩ للهجرة، حين ضمّ صلاح الدين الأيوبي[٣] هذه الدولة إلى سلطته في مصر. ولقد عرفت هذه الحقبة من الزمن قيام معارك عسكرية كبيرة بين الصليبيين والمسلمين.

---

[٢] – هو زنكي بن آقسنقر بن عبد الله، أبو المظفر الأتابك، الملك المنصور عماد الدين. تركي الأصل، كان أبوه مملوك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي. ولاه الخليفة المسترشد سنة ٥١٦هـ على الموصل بعد موافقة السلطان محمود ابن السلطان محمد بن ملكشاه، وفي سنة ٥٢١هـ ملك حلب بتوقيع السلطان محمود، واستولى على (الرحبة) و (الجزيرة) وفتح (الرها) سنة ٥٣٩هـ، وكان احتلها الصليبيون بزعامة (جوسلان). وفي سنة ٥٤١هـ توجه إلى قلعة (جعبر) وحاصرها، وأصبح في إحدى الليالي مقتولا؛ قتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلا، ودفن بصفين. كان شديد الهيبة على جنده ورعيته، عظيم السياسة، يحمي الضعفاء، ويخافه الأقوياء. يذكر المؤرخون أنه عمّر البلاد وكانت قبله خرابا، وأشاع الأمن وقطع دابر اللصوص؛ ويقولون بأن الناس كانوا في زمانه بأنعم عيش. توفي عن عمر ناهز ٦٤ سنة.

[٣] – أشهر من أن يعرّف، ولكن لا بأس من اختصار القول فيه بأنه من أهم الأبطال، إن لم يكن أهمهم، الذين قدّمتهم الحضارة الإسلامية على امتداد القرنين السادس والسابع للهجرة ، وبه تمكّن المسلمون وأفلتت الحضارة الإسلامية من غزو عالمي صليبي كاسح كان يقوده "بطرس الناسك" ن أخبث صليبي عرفته أوروبا المهجية في عصورها المظلمة.

كان الصليبيون يحاولون المحافظة على ما استولوا عليه من أراضي المسلمين ومصالحهم، وكان المسلمون يجاهدون الصليبيين نصرة لله ودينه واستعادة لأرض الإسلام التي استولى عليها الصليبيون الذين كانوا يسعون إلى تسخير ناسها وأهلها لخدمة مصالحهم وأهوائهم. وبالفعل، فإن الحملات الجهادية الإسلامية استمرّت مضطردة طيلة عهد الأتابكة، وخاصة في أيّام عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود الذي كان صاحب السلطة في حلب.

لم يقف الأدباء والشعراء المسلمون بعيداً عن هذه الأجواء، بل كانت منهم ثلة تحرّض على جهاد الصليبيين المحتلين وتستنهض همم المسلمين وأهل السلطة على محاربة هؤلاء انتصاراً لله وللإسلام. وبالفعل، فإن هذه الدعوات أثمرت حماساً جبّاراً أبداه المسلمون وأهل البلاد كافة لتحريرها، ورفع النير الصّليبي عنها. ولم يلبث الأمر حتّى تُرْجِمَ بالانتصار الكبير الذي أحرزه صلاح الدين الأيوبي بتطهيره كثيرا من أراضي الإسلام من رجس الحملات الصليبية، وإنهائه لهذه الحملات وكف نفوذ أصحابها على ديار الإسلام.

إن شعراً كثيراً قيل، في هذه المرحلة من الزّمن، في سبيل الاستنهاض والدعوة إلى الجهاد؛ فالشعر كان وما يزال واحداً من أبرز أساليب مخاطبة الوجدان وتحريك المشاعر واستنهاض الهمم. وكان لهذا الشعر، في زمن الأتابكة، صفات امتاز بها عن سواه من شعر الاستنهاض والدعوة إلى الجهاد. لقد كان، من جهة أولى، ناتجا عن طبيعة المرحلة التي كانت تشهد بداية اندحار قوة المحتل الصليبي ومطالع ارتقاء السلطة الإسلامية إلى درجات عليا من السؤدد والعز والقوة؛ كما كان، من جهة ثانية، شعراً معبّراً عن حقيقة المفاهيم والقيم التي سادت في ذلك الزّمن؛ ومن هنا يمكن اعتباره صورة قادرة على نقل الواقع الفكري والاجتماعي الذين امتازت به تلك المرحلة.

ظهر الشاعران ابن منير الطَّرابلسي[٤] و ابن القيسراني[٥]، في المرحلة الأتابكيَّة، وأمضى كل واحد منهما جلَّ حياته متنقلاً في بعض أرجائها ومتصلاً بحكَّامها وولاة الأمر فيها، ويمكن اعتبارهما أبرز شاعرين تناولا موضوع الاستنهاض للجهاد في شعرهما في مرحلة هذه الدُّولة. وبالفعل، فإنهما كانا ندَّين لبعضهما في كثير من أمور الحياة وشؤونها. ولكن مما يفرق بين الاثنين أنَّ ابن منير تعاطى في شعره الهجاء المر الحاذق، إضافة إلى ما عرف عنه من نظم لشعر الاستنهاض والدعوة إلى الجهاد، فأثار بهجائه هذا حفيظة كثير من معاصريه، حتَّى إنه أضطر إلى الهرب منهم ومن أذاهم له من مكان إلى آخر، خوفا من نقمتهم وإضطهادهم له، على ما في لسانه من سلاطة وبذاءة. أمَّا ابن القيسراني فصرف جل همه الشعري على الاستنهاض ومديح قادة الجهاد[٦]. ولذا يمكن للمرء أن يعتبر ابن القيسراني واحداً من أبرز الشعراء الذين كان لهم قصب السَّبق في مجال التفرغ لشعر الاستنهاض والجهاد في تلك المرحلة، نظراً لكثرة ما نظم في هذه الأمور، ولأنه عاصر عماد الدين الزنكي وابنه نورالدين محمود في جهادهما ضد الصليبيين وسعيهما لصون بيضة الإسلام والذَّب عنها.

---

[٤] – أبو الحسين بن أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرَّابلسي الرَّقاء، ولد سنة ٤٧٣ للهجرة وتوفي سنة ٥٤٨ للهجرة. لمزيد من التوسع في حياته وشعره ينظر:

- عمر عبد السلام تدمري، ديوان ابن منير الطَّرابلسي، دار الجيل في بيروت ومكتبة السائح في طرابلس – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

[٥] – أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بالقيسراني، ولد سنة ٤٧٨ للهجرة، وتوفي سنة ٥٤٨ للهجرة. عاش جل أيامه متنقلاً بين عكا وقيسارية ودمشق وحلب، كما زار بعض الأماكن في العراق. لمزيد من الإطلاع على حياته ونتاجه ينظر:

- فاروق جرار، محمد بن نصر القيسراني – حياته وشعره، دائرة الثقافة والفنون وجمعية عمال المطابع التعاونية بعمَّان، ١٩٧٤
- محمود إبراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، مطابع دار القلم، بيروت، ١٩٧١
- عادل جابر صالح محمَّد، شعر ابن القيسراني، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩١

[٦] – يراجع في هذا:

- تدمري، ديوان ابن منير، ص ٣١-٤٢

الغرض من هذا البحث تقديم دراسة تمهيديّة في موضوع الجهاد الإسلامي، وموقعه الفكري والاجتماعي فضلاً عن الأدبي زمن الحكم الأتابكي؛ ثم البحث في تجربة الشاعر ابن القيسراني في هذا المجال رؤيةً لمفهومه للاستنهاض والجهاد، وما اعتمد في هذا السبيل من أساليب شكّلت أبرز شعره في هذه المرحلة من التاريخ العربي والإسلامي.

أمّا خطة العمل فتقوم على استعراض موجز ومكثف للمفاهيم النظرية والتطبيقات العملية المتعلقة بالجهاد، ثم استعراض نماذج مما يختص به من شعر ابن القيسراني ودراستها. أمّا تحليل أعمال ابن القيسراني، فسيقوم على منهجية تعمد إلى تفكيك النصوص الشعرية استخراجا لما فيها من مفاهيم وقيم وأساليب.

مفهوم الجهاد في الإسلام

من خصائص الإسلام العامّة أنّه لا يفصل في مبادئه، باعتبار الالتزام وسمو الغاية، بين الأهداف والوسائل. فهو يحرص على توحيد الاتّجاه، وإحكام العلاقة بين الوسائل والأهداف، لتنتظم جميعها على نفس الخط، وتتّصف بعين القيم والمبادئ، التي تستهدف الدعوة تحقيقها، وتعمل من أجلها. ولذا، تختلف فريضة الجهاد، عن غيرها من الفرائض والواجبات الاسلامية الأخرى، بكونها فريضة لم تُشَرَّعْ لذاتها، ولم يوجبها الاسلام لنفسها؛ بل شرّعها من أجل غاية منفصلة عنها لا تتحقق إلاّ بها. إنّها فريضة تختلف، بهذا الاعتبار، عن الصلاة والحج والصوم وأمثالها من الواجبات والعبادات المطلوبة لذاتها والمنطوية بنفسها على غاياتها وأهدافها.

ومن هنا، فإنّ أوّل آية شرّعت الجهاد في النّص القرآني العظيم، وأذنت به للمسلمين، هي قوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ علَى نصرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الذينَ أُخرِجوا منْ ديارِهِمْ بغيرِ حقٍّ إلاّ أنْ يقولُوا ربُّنا اللهُ ولَولا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامعُ وبيعٌ وصلَواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسْمُ اللهِ

كثيراً ولَينصُرنَّ الله من يَنصُرُهُ انَّ الله لَقَويٌّ عَزيزٌ".[٧] ومن هنا، يُمكن القول أنَّ الأصل العملي في الجهاد يكمن في إعلان الإسلام العام الذي يتشكّل بتقرير ألوهية الله في الأرض، وإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده. ومع نزول هذا البيان القرآني، فإن الجهاد صار أمراً مشروعاً للمسلمين؛ بل هو، تالياً، فريضة واجبة عليهم. وعلى هذا الأساس، خاض المسلمون أول معركة جهادية حربية في الاسلام، بعد نزول هذا الإذن، وهي معركة بدر العظمى.

التّكليف الشرعي

بيّن الله للمؤمنين، في أول ما نَزلَ من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال، أنَّ الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض، نفياً للفساد عن الأرض. ولقد جاء مصداق هذا في القرآن العزيز بقول الله سبحانه وتعالى "أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيَعٌوصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً".[٨] فالجهاد، إذن، هو الشأن الدائم لا الحال العارضة؛ ومصداق ديمومته أن لا سبيل ليتعايش الحق والباطل في هذه الأرض.

ومنذ أن قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط؛ وانفكوا يسعون، بكل ما أُوتوا من قوة ومكر وصلف، لبناء "ممالكهم الشخصية الدنيوية". وما فتئ كثير من هؤلاء يستغلون، في سبيل هدفهم الشيطاني هذا، كل الحرمات والمقدسات بما فيها الدينية، وخاصة تلك المتعلقة بما يدين به أهل الكتاب من غير المسلمين أتباع رسول الله محمد (ص). أمّا واجب المسلم الحق، فيبقى أن

---

[7] - سورة الحج: ٣٩ ــ ٤٠

[8] - سورة الحج: ٣٩-٤٠

يظل منطلقاً بإيمانه الإسلامي الشامل ليدمّر عليهم ما يعملون على بنائه، وليخرج الناس من سلطانهم، ويدفع عن "الإنسان" في "الأرض" ذلك السلطان الغاصب. فالجهاد، من هذا القبيل، حال دائمة لا يكف معها السعي التحريري للإنسان والأرض حتّى يكون الدين كله لله. أمّا "مملكة الله في الأرض"، فلا تقوم بأن يتولّى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم –هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة، كما كان الحال في ما يعرف باسم "الثيوقراطية " أو الحكم الإلهي المقدس– ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة؛ وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة.[٩]

ومن هنا، فإنّ كل مسلم قادر على الجهاد يصبح مسؤولاً أمام الله سبحانه وتعالى في هذا المجال؛ ولا بدّ له من القيام بهذه الفريضة ضمن ما يتوفر له من سلطة وقدرة؛ فإذا ما كان هذا المسلم في موقع القيادة المباشرة أو موقع الحكم، فإن عمله الجهادي هذا يأخذ بعداً مسؤليته القيادة وفاعليته في الحكم، إنه يتحول من مسؤولية ذاتية فردية إلى مسؤولية جماعية، فجهاده خاضع لامتحانين أولهما امتحانه عن نفسه، وثانيهما امتحانه عن حسن مجاهدته بالآخرين في سبيل تحقيق المفهوم الإسلامي والشرعي للجهاد.

إن هذا الإعلان العام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من كل سلطان سوى سلطان الله، بإعلان ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين، لم يكن، بنظر كثير من الدارسين والباحثين وأهل الفقه، إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً، إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً؛ ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل "الحركة " إلى جانب شكل

---

[٩] – ينظر في هذا المجال:

- سيد قطب،:
  - في ظلال القرآن (١٤٣١ – ١٤٤٤)
  - معالم في الطريق ص ٦٢ – ٩١ (المعلم الرابع من معالم الطريق)
- محمد سعيد رمضان البوطي:
  - الجهاد في الإسلام، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣

"البيان" ليواجه "الواقع" البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه.[١٠] وهذا الأمر، بحد ذاته، هو ما يجب امتحانه من خلال ما يعكسه شعر الاستنهاض والجهاد في المرحلة الأتابكيّة. فلئن كان الجهاد، في أيّام الخلافة الرّاشدة، فعل نشر للإسلام بين أقوام كانت على الشرك، فإن فيما يلي هذه الخلافة من مراحل سياسية ما شهد لفاعليات مختلفة للجهاد، إذ هو ممارسة تأسيس وتمكين لدولة الإسلام في المرحلة الأموية، ثم هو سعي إلى توسيع مناطق الدولة الإسلامية ونشر دعوتها في كل ما أمكن الوصول إليه من أرجاء الأرض، وهو في مرحلة ضعف الخلافة العباسية وبدء عهد ما يعرف باسم الدول المتتابعة عمل دؤوب للدفاع عن بيضة الإسلام والذّب عن حق المسلمين في دينهم وأرضهم. وإذا ما كانت مرحلة ما يعرف بالدول المتتابعة شهدت مثل هذه المواقف الدفاعية عن الإسلام، بكل ما في الدفاع من أوجه قد يعتبرها بعض المحللين والدارسين سلبية، فإن زمن الحكم الأتابكي شهد بداية دفاع ينهد باستمرار إلى القوة وإلى إعادة تثبيت حق المسلين بدينهم وأرضهم، وبداية ما يمكن اعتباره إعادة للثقة بقدرة المسلمين هؤلاء على نشر رسالة الإسلام وتعزيزها بين خلق الله.

من جهة أخرى، فلم يكن من قصد الإسلام قط أن يُكْرِهَ النّاس على اعتناق عقيدته، ولكن الإسلام ليس مجرد "عقيدة". إنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد. فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان.[١١] ولقد قال رب العالمين "وإن عاقبتُم فعاقبوا بمثْلِ ما عوقبتُم به ولئنْ صبرتُم لَهُوَ خيرٌ للصابرين* واصبرْ وما صبرُكَ الا بالله ولا تحزَنْ عَلَيْهِم ولا تكُ في ضيقٍ ممّا يمكُرون* إنّ اللهَ معَ الذينَ اتّقوا والّذينَ هُمْ مُحسنون".[١٢]

---

[10] – نفسه

[11] – نفسه

[12] – سورة النحل: ١٢٦ ــ ١٢٨

الممارسة النبوية

لم يعتبر الرسول (ص) الجهاد حرباً غرضها إبادة الآخر والقضاء عليه، بل رأى في الجهاد حركة لتصحيح مسارات خاطئة دخل الإنسان، فردا كان أو جماعة، عصبة أو دولة، في نطاقها؛ وبات من الواجب الشّرعي العمل الجاد والمسؤول على تصحيح هذه المسارات وتجنُّب ما قد تلحقه ذيولها بالإنسانية من أخطار. ولذا، فإنّ من أبرز وصايا رسول الله محمّد صلى الله عليه وسلّم لقادة الجيش والمجاهدين قوله لهم "سيروا باسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً، الا أن تضطروا اليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين، أو أفضلهم نظر الى أحد المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين"[١٣].

الممارسة العامّة

انطلاقا مما سبق جميعه، يمكن القول إن الإسلام لم يشرع الجهاد، ولم يوجبه إلاّ اذا تمرّد الانسان على ارادة الحق، وأبى السير في طريق الهدى والإيمان، وعاث في الارض فساداً. فعندئذ يكون الجهاد أداة ووسيلة ضرورية لردع الضال والمنحرف، وإرغامه على قبول الحق، أو الكف عن محاولات الهدم والتخريب، فيأتي الجهاد كوسيلة ضرورية لحفظ أهداف الحياة ونظام الخير على هذه الأرض، لذلك فإن الجهاد لا يكون واجباً ولا تصبح له ضرورة اذا اختفت هذه الدواعي والضرورات، وتوارت ظواهر البغي والفساد والضلال.

---

[13] – للنظر في نص الحديث وأسانيده تراجع مصنفات الحديث التالية وفقا لأرقام الحديث العالمية:

- أحمد: ٢٥٩٢
- أبو داود: ٢٢٤٦
- الدارمي: ٢٣٣٢
- الترمذي: ١٣٢٨

إن الجهاد لم يكن، ولم يشرع إلاّ بعد قيام البينات الفكرية والعقائدية، وإلا بعد مخاطبة العقل والوعي الانساني بالرسالة والقيم الخيرة، والدعوة الى إقامة العدل والقسط في المجتمع الانساني، فإن جوبهت هذه الدعوة بالرفض والاستعلاء، ونزع الانسان عقله ووعيه السليم، فعندئذ يأتي دور القوة التي هدد القرآن باستعمالها بقوله:"وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ"[١٤]، آخر وسيلة يلجأ اليها الاسلام.

ومن هنا كان الجهاد واجباً مقدساً على الانسان المؤمن، لأن الانسان المؤمن هو المكلف بحمل رسالة الحق والتبشير بمبادئ الخير والإصلاح، لذلك أُعطي حق القتال والمجاهدة، لنشر مبادئ الايمان، والدفاع عن الحق والعدل؛ وعلى هذا الأساس تمكن مساءلة أحداث المرحلة الأتابكيّة ومفاهيمها للجهاد الإسلامي.

الجهاد و الحرب

ثمّة مسافة لا بدّ من اعتبارها في التفريق بين الجهاد والحرب. فالحرب واحدة من الوسائل التي يمكن اعتمادها في الجهاد، بيد أنها ليست الجهاد كله، وليست هي الغاية النهائية من الجهاد على الإطلاق. الحرب قتال مفروض على المجاهد المسلم إذا ما ولجه حالاً لا بد له فيها من قتال، والقتال خطوة لا تأتي إلاّ بعد أن يستنفد المجاهد خطوات أخرى من أهمها السعي إلى الإقناع الفكري والاجتماعي والنفسي لمن يخاصمه في أمور الدين والفكرة الإسلامية العامة. فإذا أثبت الخصم أنه رافض لأي إقناع ممكن، بل مُصرٌ على ما هو فيه من غي وضلال ومحاربة لأسس العقيدة الإسلامية، تحوّل من خصم إلى عدو؛ ووجب عندها على المسلم مجاهدته بالقتال الذي يعني الحرب على هذا الخصم الذي صار عدوا مستكبرا بعداوته للإسلام والمسلمين.

---

[١٤] - سورة الحديد: ٢٥

الجهاد عند أهل الفكر والبيان

شَهِدَ التّاريخ الجهادي الإسلامي أن لأصحاب الفكر والقلم، ومن يتمتعون بموهبة الخطابة والشعر وسائر ضروب البيان الكلامي، دوراً أساسياً في عملية الجهاد والتغيير. فكثير من هؤلاء عملوا على تجنيد أقلامهم وأفكارهم وألسنتهم للدفاع عن الاسلام وحماية مبادئه ونصرة الحق الذي يدعو إليه. فكانت الكلمة تقاتل في موضع يعجز السيف والمدفع عن الوقوف فيه، ولقد أثبت الواقع أن للكلمة والفكرة دورهما وأثرهما الجهادي في حياة الانسان للدفاع عن العقيدة وقيم الحق والمبادئ. واذا كانت القوة وسيلة من وسائل التغيير، فإن للكلمة والفكرة دورا أكبر في عملية تغيير الانسان وهدايته. وهذا، بحد ذاته، موضوع المساءلة الأخرى التي يجب أن يخضع لها نتاج شعراء الاستنهاض والجهاد في المرحلة الأتابكيّة.

الحروب الصّليبيّة [15]

لئن لم يتوقّف المسلمون عن الجهاد منذ أن أمرهم الله سبحانه وتعالى به ودعاهم إليه، فإنهم مروا في جهادهم هذا بمراحل كثيرة وأوجه عديدة. ولئن اتسمت كل مرحلة بسمات ميّزتها عن سواها، وبأوجه صارت سمة خاصّة بها، فإن مبدأ الجهاد لم يتوقّف على الإطلاق، وأسس العمل به لم تتغيّر؛ بيد أنهما اتخذا في كل

---

[15] – للتوسّع في هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى عدد كبير من المصادر ومنها:

- ابن الأثير – الكامل في التاريخ – دار صادر – بيروت – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- المقريزي – السلوك لمعرفة دول الملوك – تحقيق محمد مصطفى زيادة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٣٤م.
- الحافظ أبو الحسن علي بن حسن حسن المعروف بابن عساكر، تهذيب التاريخ الكبير – المعروف بتاريخ دمشق، هذبه عبد القادر بدران، دمشق، ١٣٣١ هـ.
- ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد باز العريني، بيروت، ١٩٦٧
- سعيد عبد الفتاح عاشور – الحركة الصليبية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١م.
- قاسم عبده قاسم – الحروب الصليبية – سلسلة عالم المعرفة – الكويت.
- السيد الباز العريني – الأيوبيون – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٧٦م.

مرحلة ومع كل وجه لبوساً يتفق وطبيعة المرحلة ونوعية العدو الذي يُجاهده المسلمون في سبيل الله ونصرة الإسلام وتحرير الإنسان.

وكانت الحروب، التي أطلق عليها الحروب الصليبية، عبارة عن حملات قامت بها أوربا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي، لاستعباد الشرق وكسر شوكته. وبالفعل، فقد جاءت، في تلك العصور، ثماني حملات صليبية من أوروبا إلى أرض الإسلام؛ ونتيجة لهذه الحملات احتل الأوروبيون أجزاء كبيرة من الأراضي العربية الإسلامية عند الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وما يجاور هذه الأراضي من داخل؛ فأقاموا هناك إمارات وممالك استمرت نحو قرنين من الزمان؛ وكان مما احتلوه القدس الشريف الذي ظل في أيديهم مدة تسعين سنة.

إن في ما أُعطي لهذه الحروب من تسميات ما يدل بوضوح على مواقف كثيرة منها؛ فقد أطلق المسلمون عليها اسم "حروب الفرنجة"، باعتبار أن من يعتدي على المسلمين فيها ويغصب أرضهم وحقوقهم كانوا من الفرنجة سكّان أوروبا؛ أمّا الغربيون فسموها "الحروب الصليبية"، إذ الصليب كان الشّعار المرفوع في هذه الحروب من قبل الغزاة الغربيين لأرض الإسلام، الأمر الذي يوضّح ما كانوا يعلنوه من خلفية دينية جاءت تحارب الإسلام وتقاتل المسلمين وتعتدي عليهم في دينهم وأرضهم.

ويذهب كثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن إطلاق شعار "الصليب"، من قبل الفرنجة، على تلك الحروب كان نفاقاً وبهتاناً. لقد اعتبر كثير من الدارسين، وحتى الأوروبيين منهم، أن اتخّاذ الدين شعاراً في هذه الحروب، كان مجرّد خداع مرعب من قبل قادتها الغربيين للتمويه على شعوبهم، ولإخفاء حقيقة سياستهم الطامعة بأراضي الشرق العربي الإسلامي وخيراتها، ولكي يظفر هؤلاء السّاسة بتأييد البابوات ورجال الدين في أوروبا. ولذا، فإن القادة الفعليين، الموجهين لحركة هذه الحرب، عمدوا إلى إثارة نزعات التعصب الديني التي كانت تتمشى مع عقلية

أوربا في تلك المرحلة من الزّمن التي خيّمت فيها على أوروبا ظلمات الجهل والرجعية. ولكن الله سبحانه وتعالى هيأ للإسلام قادة[16]، هم عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي الكردي، والظاهر بيبرس البندقداري، الذين تمكّنوا من قيادة المسلمين في تطهير المنطقة من آثار الصليبيين.

المنطقة في العهد الأتابكي[17]

حاصر الصليبيون مدينة حلب في سنة ٥١١هـ، فاستنجد أهلها بنجم الدين إيلغازي، الذي تملّك ماردين خلال الحكم الأرتقي، فأنجدهم وقاتل الصليبيين في معركة جرت في موقع يعرف باسم "سهل بلاط" سنة ٥١٣هـ وأسر زعيمهم "روجيه ده سالرنو" أمير أنطاكية. وتملّك نجم الدين إيلغازي حلب، نتيجة ما قام به؛ وأقام فيها دولة أرتقيّة، تعاقب أبناؤه عليها، إلى أن استولى عليها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١هـ وأقام فيها دولة أتابكية.

تنتسب هذه الدولة الأتابكية إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان "أتابك" – أي نائب – السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه سلطان العراق. وحصل أنه في سنة ٥١٦هـ تولى عماد الدين زنكي من قِبَلِ السلطان السلجوقي على الموصل، فأقام فيها دولة عرفت بالدولة الأتابكية. واستولى عماد الدين على حلب، في سنة ٥٢١هـ، وأزال الدولة الأرتقية. ثم اغتيل عماد الدين زنكي في قلعة جعبر

---

[16] – لمزيد من التعرُّف على هؤلاء القادة وتفاصيل سيرهم وأعمالهم يمكن العودة إلى:

- شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، بيروت، ١٩٩٣

[17] – للتوسّع في هذا الموضوع، يمكن العودة إلى عدد كبير من المصادر التاريخية التي منها:

- ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنّى ببغداد، ١٩٦٣
- ك. ف. زتزمستين، تاريخ سلاطين لمماليك، ليدن، ١٩١٩
- ابن العبري (أبو الفرج غريغوري بار إبراوس الملّطي)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨

من قِبَل بعض غلمانه في سنة ٥٤١هـ، فانقسمت الدولة الأتابكية إلى دولتين: واحدة في الموصل وأخرى في حلب . أما دولة الموصل فخلفه فيها ابنه سيف الدين غازي الأول وتعاقب عليها من بعده أبناؤه حتى انقضى عهدها باستيلاء المغول عليها سنة ٦٦٠هـ. وأما دولة حلب فخلفه فيها ابنه نور الدين محمود. وفي سنة ٥٤٩هـ استولى نور الدين على دمشق وضمت إليه بلاد الشام. ولما توفي نور الدين محمود، سنة ٥٦٩هـ، خلفه فيها ابنه الصالح إسماعيل. وتولى في سنة ٥٧٩هـ صلاح الدين الأيوبي ضم هذه الدولة إلى الدولة الأيوبية التي أقامها في مصر، فأضحت معها دولة واحدة.

شهدت المرحلة الأتابكية سعيا حثيثا من قبل نورالدين محمود إلى توحيد الصف الداخلي الإسلامي ولم شمله، أكان على صعيد تجنُّب الحروب والمعارك الداخلية أو كان على صعيد إقامة الأحلاف وأواصر المودة بين المناطق الإسلامية المتاخمة لسلطة الأتابك. ومن الأمثلة على هذا، ما سعى إليه الأتابك نورالدين محمود سنة ٥٤٤ للهجرة إلى فض خلاف ضار كاد أن يقع بينه وبين قطب الدين مودود الذي سعى إلى استلام الموصل بعد وفاة صاحب السلطة فيها سيف الدين غازي شقيق نورالدين محمود.[18] ومنه، كذلك، سعي الأتابك نورالدين إلى إقامة صلح مع أرباب دمشق في سنة ٥٤٥ للهجرة، فبذلوا له الطَّاعة وأقاموا له الخطبة على منابر مساجدها بعد ذكر الخليفة والسلطان. ومنه أيضا لمَّا حاول بعض من في

---

[18] – ينظر تفصيل هذا الأمر في:

- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧، ج. ٩، ص ٢٤
- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة وكتبة المثنى ببغداد، ص. ٩٥-٩٦
- ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٤ ج. ٢، ص. ٢٩٦-٢٨٩
- ابن العبري (غريغوريوس الملطي)، تاريخ مختصر الدول، مطبعة دار المسيرة، بيروت، ص. ٢٠٧
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١، ج. ٥، ص. ٢٤٠

دمشق مصالحة للصليبيين، فإن نورالدين محمود زحف إليهم، فراسلهم، ثم عادوا إلى صوابهم من غير ما قتال، وكان أن توجّه صاحب دمشق، مجير الدين، إلى حلب لبذل الطّاعة للأتابك نورالدين. ولعل من أبرز مظاهر السعي إلى توحيد الصّف وجمع الشعب حول سلطة الدولة ما قام به نورالدين محمود من إبطال للمظالم والمكوس في البلاد بأسرها، وفي هذا يقول ابن القيسراني:

رأى حطَّ المكوس عن الرعايا ... فأهدر قبل ما أنشاه بعدُ
ومدَّ لها رواق العدل شرعا ... وقد طُوي الرواقّ ومن يمدّ[19]

كما شهدت المنطقة، كذلك، إزدياد معارك الجهاد الحربي من المسلمين ضد الصليبيين، وانهزام الصليبيين في جل هذه المعارك التي كان المسلمون يشنونها عليهم. ومما يذكر في هذا الشأن، على سبيل المثال وليس الحصر على الإطلاق، أنّ تاج الملوك بوري، صاحب دمشق، تمكّن من دحر الصليبيين عنها سنة ٥٢٣ للهجرة،[20] وأن عماد الدين زنكي قاتل الفرنجة في سنة ٥٣٤ للهجرة عند حصن بارين وانتصر عليهم انتصاراً ساحقا،[21] كما فتح عماد الدين "الرها" سنة ٥٣٩ للهجرة فتحا عظيما طار صيته في الآفاق،[22] وتمكّن نورالدين محمود من صد هجوم كبير

---

[19] – عادل جابر صالح محمد، شعر ابن القيسراني – جمع وتحقيق ودراسة، الوكالة العربية للتوزيع، ط ١، الزرقاء – الأردن، ١٩٩١، ص. ١٦٥

[20] – ينظر:

- ابن الأثير الجزري، الكامل، ج. ٨، ص ٣٢٩
- سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الدكن بالهند، الطبعة الأولى، ١٩٥١ ، ج. ٨، ق ١، ص ١٣٠-١٣١

[21] – ابن القلانس (أبو يعلى حمزة بن أسد)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل بكّار، ص ٤٠٧

[22] – ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٣٦-٤٣٧

شنه الفرنجة على حلب سنة ٥٤٣ للهجرة،[٢٣] وقدر نورالدين على الفرنجة في "إنّب" وانتصر على جمعهم وقتل قائدهم المعروف بالبرنس.[٢٤]

بين الجهاد والحرب

لقد سبقت الإشارة آنفا إلى أن الحرب واحدة من الوسائل التي يمكن استخدامها في الجهاد، فهي، تالياً، وسيلة وليست غاية. ولذا، فإن النَّظر في موضوع الشعر الاستنهاضي والجهادي في زمن الأتابكة لابد له من أن يراعي هذا الأمر ويأخذه بالنَّظر والتحليل. ولقد انتبه بعض الباحثين إلى ملامح من هذا الأمر عندما أشاروا إلى أن كثيرا من شعراء تلك المرحلة لم يعتنوا كثيراً بوصف المعارك الحربية ووقائع الجند فيما بينها.[٢٥] ولعل من النَّاس من يرى في هذه السمة عيبا في شعر القوم؛ بيد أن التفريق العملي والمنهجي بين ما يعتبر معركة عسكرية وما هو جهاد، قد يزيح بعض غشاوة عن الموضوع. فالمرحلة الزمنية كانت تتطلّب من المسلمين تحقيق مستويات متعددة من الجهاد كان أولها جمع شملهم وتوحيد صفوفهم لمقاتلة غاصبي أرضهم والساعين إلى تغليب المصالح الذاتية على دين رب العاليمن ورسالة الإسلام السَّمحة. وبالفعل، فإن ما كان يقوم به قادة تلك المرحلة أمثال عماد الدين ونورالدين كان يؤكّد ضرورة الوحدة بين المسلين وأهمية جمع الشمل وتعزيز الصف الداخلي.

لقد كان للإشادة بهذه الأعمال والحض عليها دوره الأساسي في تعزيز هذا السلوك الجهادي. من هنا، فإن بعض الشعر الذي قاله شعراء ذلك الزَّمن، وعلى

---

[23] – ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج. ٩، ص ٢٢

[24] – ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٧٢

[25] – ينظر في هذا الشأن:

- عمر الأسعد، نصوص من شعر عصور الدول المتتابعة، مكتبة المنار ودار الكتاني، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨
- عادل جابر صالح محمد، شعر ابن القيسراني، ص ٤٥١

رأسهم ابن القيسراني، كان شعرا ظاهره مدح القادة السياسيين والحكّام جرّاء أفعالهم، ولكن حقيقته تظهر عند تحديد هذه الأفعال التي أشار إليها هؤلاء الشعراء بتوحيد الصف المسلم ولم شمل الجماعة. وإذا ما كان ثمّة معركة حربية دارت رحاها بين هؤلاء المجاهدين المسلين وأعدائهم الصليبيين الغاصبين لبلادهم وحقوقهم، فإن قصائد الشعر التي نظمت في الحديث عن هذه المعارك، وخاصة تلك التي كان ابن القيسراني ناظما لها، لم تكن لتتوقف مطوّلاً عند ذكر كثير من تفاصيل القتال، بل سرعان ما كانت تنتقل إلى ذكر نتائجه وما أحرزه المجاهدون من نصر للإسلام والقضية الإسلامية. ولعل في هذا ما يوضّح أن ابن القيسراني ورهطه من الشعراء، إنما كانوا يهتمون للجهاد والاستنهاض إليه أكثر من اهتمامهم بالحرب والدعوة إليها.

يؤكّد استعراض لشعر ابن القيسراني أن الرّجل كان مهتما بنصرة الإسلام باعتباره دين الحق، وحق النّاس في العيش ضمن مناهجه وتعاليمه وهدي نبيه، وحق هؤلاء النّاس في التمتع بخيرات الأرض التي يعيشون إسلامهم عليها. ولعل مما يساعد على جلاء هذا الزّعم ما يورده ابن القيسراني في مخاطبته عماد الدين زنكي:

غضبت للدين حتّى لم يفتك رضى ... وكان دين الهدى مرضاته الغضب

طهرت أرض الأعادي من دمائهم ... طهارةٌ كلُّ سيف عندها جنب[٢٦]

وكذلك حاله في مخاطبة نورالدين محمود:

إذا ذبَّ عن أضغاث دنياه مالك ... فأنت الذي عن حوزة الدين ذبُّه

رأيت اتّباع الحق خيرا مغبة ... فأفرجت عن رأي يسرُّك غبُّه[٢٧]

---

[26] - عادل جابر صالح محمد، شعر ابن القيسراني، ص ٧١

[27] - عادل جابر صالح محمد، شعر ابن القيسراني، ص ٨٠

إنّ الموضوع لم يكن رغبة في قتال عسكري لمجرّد أنه قتّال عسكري، بل هي رغبة في الجهاد لتحرير الإنسان والأرض من ربقة من لايخشى الله رب العالمين ولا يتيح للناس أن يعبدوا الله في أرضهم كما يدعو الإسلام إلى عبادته. وعلى هذا الأساس يمكن للمرء أن يفهم كيف أن ابن القيسراني لم يكن ليأبه كثيراً، أو يتحمّس بما فيه الكفاية، لوصف دقائق المعارك الحربية والعسكرية كما كان حال سواه من شعراء سبقوه. وإذا ما قارن المرء بين الكيفية التي يصف فيها ابن القيسراني المعارك الحربية وتلك التي سبق أن اعتمدها شاعر كبير فحل أثّر في جيله ومن تبع جيله من الشعراء والنقّاد مثل المتنبي، لأدرك أن اهتمام المتنبي كان في تصوير قوة من يمدح وتخليد جبروت مهابته الحربية، كما في قوله:

فرس سابح ورمح طويل ... ودلاص زغف وسيف صقيلُ
كلّما صبّحت ديار عدو ... قال تلك الغيوث هذي السّبيلُ
دهمته تُطاير الزرد المحـ ... ـكم عنه كما يطير النّسيلُ
تقنص الخيل خيله قنص الوحـ ... ـش ويستأسر الخميس الرّعيلُ[٢٨]

أمّا ابن القيسراني، فكان في شعره رجل استنهاض ودعوة إلى الجهاد، ولم يكن مجرّد مُصوّرٍ لوقائع حرب ومسجّلٍ لجبروت قائد عسكر إلاّ بقدر ما تسمح به الدعوة إلى الاستنهاض والجهاد. ومن مثل هذا ما جاء في أبياته:

يا من أعاد ثغور الشّام ضاحكة ... من الظبى عن ثغور زانها الشّنبُ
ما زلت تلحق عاصيها "بطائعها" ... حتّى أقمتَ وإنطاكيّةٌ حلَبُ
حللت من عقلها أيدي معاقلها ... فاستحلفت وإلى ميثاقك الهربُ
وأيقنت أنها تتلو مراكزها ... وكيف يثبتُ بيتٌ ما لَهُ طُنُبُ

---

[28] – ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧، جز ٢ ص ٤٥٨-٤٥٩

....

فلو تناسب أفلاك السماء بها لكان بينكما مَن عفَّة نسبُ
هذا وهل في الإسلام مكرمة إلاَّ شَهِدَت وعبَّاد الهوى غُيَّبُ[٢٩]

أسس الاستنهاض والدعوة إلى الجهاد عند ابن القيسراني

- نصر الإسلام بتحرير الأرض والنَّاس

تقود القراءة المتأنية في شعر ابن القيسراني إلى القول بأن الجهاد عنده كان لتحقيق دعوة الإسلام إلى عبادة الله والرضوخ لأحكامه وما قدَّمه في كتابه العزيز المنزل على نبيه محمَّد (ص) من تعاليم وتشريعات. فالغاية العملية من الدعوة إلى الجهاد كانت لتحرير النَّاس والأرض التي يقيمون عليها من أي عائق يمكن أن يقف بينهم وبين تحقيق دعوة الإسلام وعبادة رب العالمين. ولعل من أوضح ما يصوِّر هذا التوجُّه عند ابن القيسراني ما خاطب به تاج الملوك[٣٠] من أبيات يقول فيها:

قدت الجياد وحصَّنت البلاد وأمَّـ ـنت العباد فأنت الحل والحرم[٣١]

وكذلك الحال في ما نظمه من شعر يخاطب به عماد الدين زنكي، باعتباره ملك المؤمنين وعدو ملك المشركين ومن معه:

وأين ينجو ملوك الشِّرك من ملك من خيله النَّصر لا بل جنده القدر[٣٢]

وها هو يخاطب نورالدين محمود بالتوجه عينه، فيقول له:

من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا من الملوك فنور الدين محتسب

---

[29] – محمد، شعر ابن القيسراني، ص ٧٤-٧٥

[30] – هو أبو سعيد بوري بن الأتابك ظهير الدين طغتكين، صاحب دمشق التي وليها بعد وفاة والده سنة ٥٢٢ للهجرة. مات مقتولاً سنة ٥٢٥ للهجرة.

[31] – السابق، ص ٣٧٤

[32] – السابق، ص ٢٠٧

... ...

فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجبٍ يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
وائذن لموجك في تطهير ساحله فإنما أنت بحر لجه لجبُ[٣٣]

ويمضي مؤكّدا على أن الجهاد لنصرة الإسلام، أرضاً وناساً، عندما يخاطب الوزير جمال الدين[٣٤]:

أما آن أن يزهق الباطل وأن ينجز العدة الماطلُ

... ...

وهل يمنع الدين إلاّ فتىً يصول انتقاما فيستأصلُ[٣٥]

- **السّعي إلى النصر الإسلامي**

يُستخلص من شعر ابن القيسراني أنّه كان على تمام الوعي لمسؤولية العنصر البشري في تأمين النّصر الإسلامي ونشر بساط رحمة الله، سبحانه وتعالى، على الأرض والنّاس. ولقد حصر الشّاعر هذا العنصر الإسلامي القوي بقيادة وجند وحسن تدبير.

---

[33] - السابق، ص٧٤-٧٦

[34] - هو جمال الدين الجواد، أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني. نشأ في أيّام الأتابك عماد الدين زنكي، ثم حظي بثقته حتى أوكل إليه أمور ديوانه. وصار، جمال الدين ملجأ الدولة الأتابكية بعد مقتل عماد الدين زنكي، فاستوزره ابنا عماد الدين، سيف الدين غازي وقطب الدين مودود، فعلا شأنه وترك آثارا عظيمة في مكة والمدينة وبنى الربط والجسور. أنقلب عليه قطب الدين مودود، فأودعه السجن سنة ٥٥٨ الهجرة في الموصل حتى مات في سجنه سنة ٥٥٩ للهجرة. للمزيد من المعلومات حوله، يمكن مراجعة:

- ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج. ٩، ص ٨٧-٨٨
- ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج. ٨، ق١، ص ٢٤٨-٢٥١

[35] - محمد، شعر ابن القيسراني، ص ٣٣٣

أما القيادة، فرآها ابن القيسراني تتحقَّق بملك مسلم قوي وموثوق يحسن السياسة وتقوده تقواه لله عز وجل في أعماله. ولعل هذه الصفات تبرز في أبيات شعره من خلال مخاطبته عماد الدين زنكي عند فتحه "الرها" سنة ٥٣٩ للهجرة:

رويدكم لا مانع من مظفَّر ... يعاند أسباب القضاء عناده
مصيب سهام الرأي لو أن عزمه ... رمى سدَّ ذي القرنين أصمى سَدادُه
وقل لملوك الكفر تُسلم بعدها ... ممالكها إن البلاد بلادُه
كذا عن طريق الصبح أيتها الدجى ... فيا طالما غالى الظلام امتدادُه
فلو درج الأفلاك عنه تحصَّنت ... لأمست سعادا فوقهن صعاده
ومن كان أملاك السموات جنده ... فأيَّة أرض لم ترضها جياده[٣٦]

وكذلك الأمر، لا يحيد عنه ابن القيسراني، عندما يخاطب نورالدين محمود:

قد بايع الإخلاص بيعة نصرة ... ولكل هادي أمة أنصارُ
ملك له من عدله ووفائه ... جيش به تستفتح الأمصارُ[٣٧]

و لا يغفل ابن القيسراني عن هذه الأسس في موقف آخر يخاطب به نورالدين محمود، قائلا:

مظفَّر في درعه ضيغم ... عليه تاج الملك معقودُ
نال المعالي حاكما مالكا ... فهو سليمان وهو داوودُ[٣٨]

رأى ابن القيسراني في الجند دعامة كبرى لتحقيق الجهاد، ولذا أصرَّ في أبياته على صفات القوة فيهم. إنه يرى ضرورة أن يكون الجند قويا، حسن التدريب، ممتلكاً لرباطة الجأش. بيد أن ابن القيسراني لم يكتف بهذا وحده في صفات الجند،

---

[36] – السابق، ص ١٤٩-١٥٠

[37] – السابق، ص ٢٠٢

[38] – السابق، ص ١٥٥

بل أظهر وعيا حقيقيا لمفهوم القيادة العسكرية، إذ أصر على أن يكون هذا الجند القوي والمترس بشؤون القتال متضامنا مع قائده أو ملكه، لا يعصي أوامره ولايخل بالتزاماته تجاهه. ومصداق هذا ما يرد في أبيات ابن القيسراني التي منها قوله واصفا جند نورالدين محمود:

جند على جرد أمام صدورها ... صدر عليه من اليقين صداره[٣٩]

وكذلك الحال في وصفه لجند نورالدين زنكي:

وجند كالصقور على صقور ... إذا أنقضوا على الأبطال صادوا

إذا أخفوا مكيدتهم أخافوا ... وإن أبدوا عداوتهم أبادوا[٤٠]

وأمّا ما يراه ابن القيسراني من ضرورة حسن التدبير في الجهاد، فيظهر في دعوته القيادة العسكرية إلى عدد من الأمور الأساسية في محاربتها لأعداء الإسلام وإحقاقها للحق. وهذه الأمور تتلخّص في الحسم وعدم التراجع أو التخاذل وشدة العزم والتصميم وإخافة العدو وترهيبه وإضعاف ثقته بنفسه عبر إعلام وتصرف يراعيان هذه الأحوال والمتطلبات.

تَظْهَرُ دعوة ابن القيسراني إلى الحسم في المواقف والثبات عليها في عدد من المخاطبات الشعرية التي قدَّمها إلى عماد الين زنكي وابنه نورالدين محمود؛ ومنها ما خاطب به نورالدين محمود:

أمضى السلاح على عدوك بغيه ... بالغدر يطعن في الوغى الغدّارُ

فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل ... كالليل فيه من الصفيح نهارُ[٤١]

---

[39] - السابق، ص ٢٠٢

[40] - السابق، ص ١٥٧

[41] - السابق، ص ٢٠٢

وتتجلّى دعواته إلى عدم التراجع أو التخاذل في مثل ما نظمه مخاطبا نورالدين محمود بقوله:

فسرِ واملأ الدنيا ضياءً وبهجة ... فبالأفق الدلجي إلى ذا السنا فقرُ
كأني بهذا العزم لا فلّ حده ... وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر[٤٢]

أما دعوة ابن القيسراني إلى إخافة العدو فاتخذت عددا من الأشكال، إذ قام بعضها على التهويل عليه بقوة المحاربين المسلمين، أو بزرع الرُّعب في نفوس الصليبيين بإفهامهم أن المسلمين منتصرون عليهم لا محالة بحكم ما حفظه التاريخ من نتائج حروبهم مع أعدائهم، أو لأن المسلمين يستمدون قوتهم من لدن الله الذي يعضدهم ويساندهم ضد أعدائهم.

ومن النماذج على هذا ما يجده المرء في تضاعيف شعر ابن القيسراني من مثل:

ومن كان أملاك السموات جنده ... فأيّة أرض لم ترضها جياده[٤٣]
...
كم فلّ كيدهم بصاعقة ... شغلت قلوبهم عن الفِكَر
تركت حصونهم سجونهم ... فالقوم قبل الأسر في أسر
وإذا سرايا خيله قفلت ... نهضت سرايا الخوف والذعر[٤٤]
...
ملأت بهم ضرائحهم فأمسوا ... وليس سوى القشاعم من ضريح[٤٥]
...
فلا تخف بعدها الإفرنج قاطبة ... فالقوم إن نفروا ألوى بهم نفرُ

---

[42] - السابق، ص ٤٥٨-٤٥٩
[43] - السابق، ص ١٥٠
[44] - السابق، ص ٢٢٨
[45] - السابق، ص ١٠٨

إن قاتلوا قُتِلوا أو حـاربوا حُرِبـوا أو طاردوا طُرِدوا أو حاصروا حُصِروا[٤٦]

وإذا ما تمعَّن المرء في ما نظمه ابن القيسراني في دعواته إلـى الاسـتنهاض والجهاد فبالإمكان الحديث عن اقتراحات كان يقدمها الشـاعر للمسـؤولين السياسـيين والعسكريين عن قيادة الجهاد الإسلامي في هذه المرحلة. وهـي اقتراحـات يمكـن أن تدل على طول باع الرَّجل في فهم الخلفيات النفسية التي يمكـن لهـا أن تـتحكَّم فـي تصرفات العدو ومسلكية اتخاذه للقرارات الحاسمة. والشاعر لا يتـوانى عـن اقتـراح خطط حربية مفادها عدم الثقة بالعدو وبكل ما قد يصدر عنه من مظاهر لحسـن النيـة أو إبداء الضعف والمسكنة. وها هو يخاطب نورالدين محمود قائلاً:

وأرى صياح القمص كان خديعـة فطغـى وجـار ولـيس ثـمَّ وجـارُ
سأل الصنيعة غيـر محـوق بهـا والخيـر يهـدم مـا بنـى الختَّـارُ
حتَّى إذا مـا غبـت أقـدم عاثيـا إقـدام مـن لـم يـدن قـرار
أمضى السلاح على عـدوك بغيـه بالغدر يطعن في الـوغى الغـدَّارُ[٤٧]

ويركِّز ابن القيسراني على ضرورة تصغير العدو والهزء به، إقلالاً مـن ثقـة هـذا العدو بنفسه وتأكيداً لازدراء المجاهدين له. ويقول، في مثل هذا، متحـدثاً عـن وقـائع نورالدين محمود:

فقـل لملـوك الخـافقين نصـيحة كذا عن طريق الليـث يـزأر غِلْبُـهُ
وخلوا عن الآفـاق فالشـرق شـرقه بحكـم الرديـنات والغـرب غربُـهُ
ولا يعتصم بالدرب طاغ علـى القنـا فإنَّ القنا في ثغـرة النَّحـر دربُـهُ[٤٨]

---

[46] - السابق، ص ٢٠٨
[47] - السابق، ص ٢٠٢
[48] - السابق، ص ٨٠

منهج التعبير الفنّي

يبدو لمن يطّلع على ما جُمِع ونُشِرَ من شعر الاستنهاض والجهاد لابن القيسراني أن الشاعر طالما سعى إلى صورة جمالية تُشَكِّل فكره الشعري، ولطالما اعتمد في هذه الصورة الجمالية على البعد الملحمي يؤلف أبرز محاورها وأهم منطلقاتها الإبلاغية. ولا عجب في هذا، فالشاعر ابن بيئته، والبيئة الأساسية التي عاش فيها ابن القيسراني ونظم شعره فيها كانت بيئة يغلب الجهاد على هواجسها الحياتية والفكريّة. كان هم تخليص البلاد والعباد من الاحتلال الصليبي لها مسيطراً على الجميع، وكان هاجس تحقيق جوانب كثيرة من هذا الجهاد، بالقوة العسكرية عبر المعارك الحربية يقودها المسلمون ضد أعدائهم الصليبيين، من أهم أولويات الفكر الجهادي في تلك المرحلة الأتابكية. فلقد تمكّن الأتابكيون من تحويل الجهاد من وضعية الدفاع إلى تأسيس حقيقي واعد للهجوم المظفّر؛ وكان لهذا التحويل قدرة كبيرة على وضع المجاهدين المسلمين ومن يناصرهم في أجواء ملحمية لا غبار فيها. أن ينتصر هؤلاء، الذين طالما استضعفوا واحتُلّت أراضيهم وصودرت حريّاتهم، كان أمراً يصعب تصديقه عند كثيرين، ويفرح به كثيرون آخرون طالما حلموا به وعلمهم الحلم به آباء لهم وأجداد. من هنا، فإن تركيز ابن القيسراني على الجانب الملحمي في تشكيل الصورة الفنية لشعره الاستنهاضي والجهادي لم يكن فعلاً عابرا على الإطلاق؛ لقد كان تأكيداً لحقيقة يعيشها كثير من مسلمي تلك المرحلة الأتابكيّة، وكان تعبيراً واقعياً عن حقيقة مشاعرهم ونظرهم إلى ما يحيط بهم من أحداث تشهد انهزاما مضطردا للصليبيين.

لعلّ من أصعب ما يواجهه التشكّل الملحمي في الصورة الفنية لابن القيسراني، أن الشاعر لم يكن كثير الاهتمام بتصوير المعارك الحربيّة، ومن هنا فلم يكن له أن يعمد إلى تفاصيل معيّنة يستعين بتضخيمها لتأمين الجو الملحمي المطلوب. كان عمل ابن القيسراني يتركّز، هاهنا، على مبادئ كبرى من مفاهيم

الجهاد ومقارعة أعداء الإسلام. ولذا، أتت غالبيّة تشكلاته الملحميّة تأكيداً لما هو فهم إسلامي عام للحق ولانتصار دين الله على المشركين والكفّار وأوليّ الباطل[٤٩].

ثمّة صورة فنية ملحميّة التشكّل، يمكن أن تكون نموذجاً طيباً عن كثير من الجانب الملحمي في شعر ابن القيسراني، ضمنتها أبيات القصيدة الميميّة التي يخاطب فيها الشاعر تاج الملوك بوري[٥٠]. تقوم هذه الصورة، على عادة ابن القيسراني في التصوير الملحمي، على عدد كبير من الحركات المتعارضة والمتلاطمة فيما بينها؛ وقوام هذه الحركات ذلك التناقض الجبّار الذي يصوره الشاعر بين حال الصليبيين وحال المسلمين.

جُندُ الصليبيين مُقْبِلٌ، ولكن إقباله يأتي بداعي الإعياء والسأم من القتال، فهو مُقْبِلٌ، على الموت وليس على الحرب، طلباً للخلاص من حياة كلها عذاب. أمّا القائد المسلم فيواجه هذا الجحفل الطّالب للخلاص بالموت، بسلاح جبّار هو بحر من الموت تتلاطم أمواجه وتصدم فيما بينها. أمّا جند المسلمين فما كانوا في هذا الخضم إلاّ بعناية رب العالمين يحيطهم برعايته ويسندهم بعنايته. ومن هنا، فلم يعد إلاّ النصر الإسلامي سيداً، ولم يعد من علم أو بيرق إلا وفيه خفقة الفرح بانتصار راية الإسلام على أعدائها. وفي هذا التصوير القائم على الرغبة الجامحة بالموت يأساً تتصادم مع قوة السّلاح المستعد أبداً للقضاء عليها، وبرعاية رب العالمين للجند الذين يحملون هذا السلاح، وخفقة أعلام النصر تهلل بانتصار الإسلام على غاصبي حق ناسه وأراضيهم.

---

[٤٩] - تظهر السلامح الملحمية في معظم القصائد التي دعا فيها ابن القيسراني إلى الاستنهاض والجهاد، وخاصة تلك التي يتوجه بها بالمديح إلى عماد الدين زنكي ونورالدين محمود. للإطلاع على هذا يستحسن العودة إلى هذه القصائد في:

- محمد، شعر ابن القيسراني

[٥٠] - السابق، ص ٣٧٤-٣٧٥

ولا يقف ابن القيسراني عند هذا الحد، فلئن كان هذا تصويرا للمعركة كما خاضها المجاهدون المسلمون، فثمّة معركة مرافقة أو تالية خاضتها قوى آخرى للرحمن تبارك وتعالى ضد هؤلاء الأعداء؛ وهي معركة اشتركت فيها النجوم رجما للأعداء، وصهلت فيها خيل الله حمم قوتها على المشركين، ثم كان انهمار لمطر قدسي من سهام أطاحت بكل غاشم غاصب. وتأتي النتيجة شمولية في عبرتها فمن قصد النهب صار منهوبا ومن سعى إلى الغنائم صار هو غنيمة حرب. إن في ما يقدمه ابن القيسراني من تشكلات فنية ملحمية في هذه الصورة، وأشباهها كثر في شعره الاستنهاضي والجهادي، ما يشكّل بعداً جماليا أدبيا قلّ أن تمّ تسجيله بهذه الكيفية المعتمدة على المبدأ العام، والبعيدة كل البعد عن الخوض في الجزئيات والتفاصيل:

وأقبلوا لا من الإقبال في عدد	يؤود حاسبه الإعياء والسَّأمُ
أجريتَ بحرا من الماذي معتكرا	أمواجه بأواسي البأس تلتطمُ
وسست جندك والرحمن يكلؤه	سياسة ما يعفى أثرها ندمُ
وقفت في الجيش والأعلام خافقة	بالنَّصر كل قناة فوقها علمُ
يحوطك الله صونا عن عيونهم	والله يعصم من بالله يعتصمُ
حتى إذا بدت الآراء ضاحكة	وأقبلت أوجه الإقبال تبتسمُ
أتبعت جن سراياهم مضمرة	فيها نجوم إذا جد الوغى رجموا
والنصر دان وخيل الله مقبلة	ترجو الشهادة في الهيجا وتغتنمُ
صاب الغمام عليهم والسهام معا	فما دروا أيما الهطالة الديم
سروا لينتهبوا الأعمار فانتُهبوا	قتلا ويغتنموا الأموال فاغتنموا[٥١]

والملاحظ العام على التعبير الفني عند ابن القيسراني في منظومات الاستنهاض والجهاد أن عمله يعتمد إلى حد كبير، هاهنا، على توفير النَّسَق

---

[٥١] - السابق، ص ٣٧٤-٣٧٥

الاستنتاجي الحِكَمي في تقديم التَّشَكُّل. ومن هنا تمكن الملاحظة كيف أن الشاعر يعرض لكثير من الأمور والقضايا والمواقف ضمن تأطير يسعى إلى استخراج بعض الحكم والمواعظ منها، وهي إمَّا حكم ومواعظ آنية متعلقة بطبيعة الحدث الذي يصور، أو حكم ومواعظ عامَّة صالحة لكل زمان ومكان.

يخاطب الشاعر نورالدين محمود إثر انتصاره على الصليبيين عند حصن "إنَّب" واستيلائه، من ثمَّ، على عدد كبير من تحصيناتهم وقلاعهم:

هذي العزائم لا ما تدعي القُضُبُ ... وذي المكارمُ لا ما قالت الكتبُ

وهذه الهممُ اللاتي متى خُطِبَتْ ... تعثَّرَت خلفها الأشعارُ والخُطَبُ[٥٢]

وها هو يهنئ نورالدين محمود إثر استتّاب الأمر له في دمشق:

ومن راهن الأقدار في صهوة العلى ... فلن تدرك الشِّعرى مداه ولا الشِّعرُ

إذا الجد أمسى دون غايته المنى ... فماذا عسى أن يبلغ النَّظم والنَّثرُ[٥٣]

قد يجد الدارس لشعر ابن القيسراني في هذه التشكلات الفنية التعبيرية وأضرابها عنده ما قد يذكره بمنهج سبق وعرفه الشعر العربي مع اثنين من أكبر عمالقته في العصر العبَّاسي هما أبو تمَّام والمتنبي. ومن الجائز أن ابن القيسراني كان يحاول أن يأتي بشعره على نسق بعض ما في شعرهما. ومما يزيد هذا التَّرجيح قوة أن الظروف التي كان يعيشها ابن القيسراني مع عماد الدين زنكي وابنه نورالدين محمود كانت تشبه إلى حد كبير، لجهة محاربة أعداء الإسلام والذَّب عن حياض المسلمين، ما عاشه أبو تمَّام مع الخليفة العبَّاسي المعتصم وما أُنِسَ به

---

[52] - السابق، ص ٦٩

[53] - السابق، ص ١٩٤

به المتنبي ولافتخر إبّان رفقته لسيف الدولة الحمداني. ولعلّ تعمقاً يقرده البحث الأدبي لهذا التوجُّه عند ابن القيسراني يؤكّد تأثراً عاماً عنده بهذين العلمين الكبيرين من أعلام الشعر العربي، وخاصة في مجال شعر الاستنهاض والجهاد.

وإذا ما كان أبو تمّام قد سعى إلى استنهاض همة الخليفة المعتصم في قصيدته الأشهر التي بدأها بقوله "السيف أصدق إنباءً من الكتب"، والتي يمكن أن يكون ابن القيسراني قد أجرى تناصاً ما معها عبر قصيدته، المشار إليها آنفا، التي جاء فيها " هذي العزائم لا ما تدعي القُضُبُ"؛ أو إن كان ابن القيسراني قد عاش تناصا ما، في مواقع كثيرة من قصائده الاستنهاضية والجهادية التي وجّهها إلى عماد الدين ونورالدين، مع المتنبي في بعض قصائد تصويره لانتصارات سيف الدولة الحمداني، فإن ثمّة تشابه وفرق بين القيسراني وهذه النماذج التي يمكن أن يكون قد تناصَّ في شعره معها.

قليلة هي المواقع الشعرية في منظومات ابن القيسراني التي يمكن أن تشكّل تَناصّاً مع شعر أبي تمّام ومنهجه، فثمة تناص ممكن لجهة بعض الصور الحكمية، لكن لامجال لتناص ما لجهة التركيب الشعري النهائي أو لجهة توليد المعاني الذي أشتهر به أبو تمّام. بيد أن تلك القصائد التي يمكن أن تحوي تناصاً مع المتنبي في شعره، كثيرة ولافتة للنظر في جل ما خاطب به ابن القيسراني أهل القيادة في الدولة الأتابكية. وهذا التناص يتجاوز مادة الاستنتاج الحكمي ليصل إلى التركيب الملحمي ويضم كثيراً من ملامح التّعبير العام. ولكن إذا ما كان المتنبي شاعراً همه وصف معارك سيف الدولة وتمجيد بطولة قائدها، فإن هم ابن القيسراني لم يكن مركزاً على المعارك بل تحوّل إلى موضوع ما ذكره من معارك، وهو الاستنهاض والجهاد. فالقيسراني ليس وصّاف حروب ووقائع، كما هي الحال مع المتنبي، لكنه داعية استنهاض وجهاد، يتوسّل المعركة الحربية للدخول عبرها إلى صلب موضوعه.

خلاصة عامّة

ساعدت جهود الحكّام الأتابكة في محاربة الصليبيين على تشجيع شعر الاستنهاض والجهاد؛ وساهمت، تاليا، في تعريف الأدب العربي على ثلّة طيّبة من الشعراء الذين تجاوزوا في همومهم آنيّةَ المعركة الحربية ليقفوا عند موضوعها وجوهر حركتها. ولابن القيسراني ولحد من هؤلاء، يمكنه أن يمثّلهم بشكل عام؛ لكثرة ما أنتج في هذا الموضوع، وللدقة الفنيّة التي أمتاز بها في هذا الانتاج، ولما كان له في هذا المجال من وعي للمسؤولية الاستنهاضية والجهادية، ولثقافته الأدبية العريضة والعميقة في آن، ولرهافة الحس الجمالي الذي كان يحسن عيشه والتعبير عنه، فضلاً عن اقترابه من أهل السُلطة وأصحاب القرار فيها والمسؤولين العامين عن أمور الاستنهاض والجهاد أمام الله والعباد.

مكتبة البحث

المصادر

١) القرآن الكريم

٢) ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٣

٣) ابن العبري (أبو الفرج غريغوري بار إبراوس الملطي)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨

٤) ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٤ ج. ٢

٥) ابن القلانس (أبو يعلى حمزة بن أسد)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل بكّار، لا.ت.

٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١، ج. ٥

٧) الحافظ أبو الحسن علي بن حسن حسن المعروف بابن عساكر، تهذيب التاريخ الكبير – المعروف بتاريخ دمشق، هذبه عبد القادر بدران، دمشق، ١٣٣١ هـ.

٨) سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الدكن بالهند، الطبعة الأولى، ١٩٥١ ، ج. ٨، ق١

٩) عادل جابر صالح محمد، **شعر ابن القيسراني – جمع وتحقيق ودراسة**، الوكالة العربية للتوزيع، ط. ١، الزرقاء – الأردن، ١٩٩١

١٠) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٣٤

١١) ناصيف اليازجي، **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧، جز ٢

المراجع

١) ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد باز العريني، بيروت، ١٩٦٧

٢) سعيد عبد الفتاح عاشور – **الحركة الصليبية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١

٣) السيد الباز العريني، **الأيوبيون**، دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٧٦

٤) سيد قطب،

٥) **في ظلال القرآن**، متعدد الطّبعات

٦) **معالم في الطريق**، متعدد الطّبعات

٧) شاكر مصطفى، **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، بيروت، ١٩٩٣

٨) عمر الأسعد، **نصوص من شعر عصور الدول المتتابعة**، مكتبة المنار ودار الكتاني، الزرقاء – الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨

٩) عمر عبد السلام تدمري، **ديوان ابن منير الطّرابلسي**، دار الجيل في بيروت ومكتبة السائح في طرابلس – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦

١٠) فاروق جرار، **محمد بن نصر القيسراني – حياته وشعره**، دائرة الثقافة والفنون وجمعية عمال المطابع التعاونية بعمّان – الأردن، ١٩٧٤

١١) قاسم عبده قاسم – **الحروب الصليبية** – سلسلة عالم المعرفة – الكويت.

١٢) ك. ف. زترستين، **تاريخ سلاطين المماليك**، ليدن، ١٩١٩

١٣) محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام**، الطّبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣

١٤) محمود إبراهيم، **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني**، مطابع دار القلم، بيروت، ١٩٧١